التعريف به في مؤخر كتابه انه ولد في ديترويت من ابوين فلسطينيين ، وانه كان ما يزال طالبا جامعيا في تكساس ودون العشرين من العمر لما انتهى من تأليف هذا المجلد النحيل (١١٥ صفحة) . ولا يسع كل من يقرأ هذا الكتاب ان يشك في حماسة المؤلف للقضية الفلسطينية واخلاصه لها . ولعل هذه الحماسة وهذا الاخلاص هما اللذان دفعاه الى تأليف الكتاب في هذه السن وبهذه السرعة ولكنهما ، للاسف ، لا يضمنان وحدهما صنع كتاب جيد .

يتألف الكتاب من عرض سريع لاحداث الثورة الفلسطينية وفقا لتسلسل زمني غير واضح وغير دقيق ، بين سنة ١٩٦٨ وسنة ١٩٧٠ . وقد صدر جبران كتابه بمقدمة قصيرة ، تليها « خلفية تاريخية » في اربع صفحات . وقسمه الى قسمين ، احدهما بعنوان « مقدمة للاعتراف » والاخر بعنوان « اعوام الملاحم — ١٩٧٠ » . ويضم القسم الاول تسعة فصول ، والثاني ثمانية فصول ، يليها نص انكليزي « للميثاق الوطني الفلسطيني » ، وفي الختام مقابلة مع ياسر عرفات . وهذا يعني ان معظم فصول الكتاب قصيرة جدا ، لا تتجاوز احيانا الصفحة الواحدة او الصفحتين . وليس في هذا ما يعيب لو ان عرض الاحداث كان اكثر تنظيما وتركيزا ، ولو لم يكن الكتاب ككل مليئا بالاخطاء والهنات المختلفة .

فالانطباع الذي يخرج به المرء من مطالعة الكتاب هو ان مؤلفه كتب فصوله تباعا ، اثناء وقوع الاحداث ، دون ان يعمد الى اعادة كتابة المواد المتجمعة لديه على هذا النحو ، او الى تنقيحها تنقيحا جيدا على الاقل . والاسلوب الذي دون به هذه الاحداث هو اقرب ما يكون الى اسلوب التقارير الصحافية التي تتسم بحيوية الاحداث الانية كما يكتبها للحال شخص عاصرها ويفتقر ، بالتالي ، الى العمق والبعد التاريخي . ولئن كان هذا الاسلوب يليق بصحيفة او مجلة اخبار اسبوعية فمن البديهي انه لا يصلح البتة لكتاب يفترض ان تبقى له قيمة ما بعد فترة من مرور هذه الاحداث . واحدى النتائج السيئة لهذا الاسلوب هي ان الكثير من الاراء والتعليقات التي ابداها جبران حول حدث او موضوع معين في فصل مبكر عادت الاحداث فدحضتها بطول كتابة فصل لاحق.

والادلة على ذلك في الكتاب كثيرة . منها ان جبران يتكهن جازما (ص ٣١) بأن « ... أية محاولة (يقوم بها الملك حسين) لسحق الفدائيين ستفضي حتما تقريبا الى الاطاحة به » . ثم يعود فيخصص فصلين لاحقين ، السادس عشر والسابع عشر ، لتدوين احداث ايلول الاسود . كان بامكان الكاتب اعادة النظر في هذه الاراء التي تخطتها احداث الكتاب ذاته قبل دفعه الى المطبعة . وكان يمكن اعتبار امتناعه عن اعادة النظر فيها من باب الامانة للمشاعر والاراء الانية لو انه في صدد تقديم يوميات او مذكرات . اما وان الكتاب هو عرض مباشر « موضوعي » لاحداث تتعلق بالمقاومة في فترة زمنية معينة ، فاننا لا نجد مندوحة من اعتبار هذا الامتناع عن اعادة النظر اهمالا وتسرعا لا مسوغ لهما .

وثمة امثلة اخرى ، من نوع اخر ، على الاهمال والتسرع . فهناك اخطاء لغوية واضحة ، واخرى مطبعية ، والكتاب كان بحاجة ماسة ، الى منقح كفوء ومصحح قدير . كما اننا نرى المؤلف ، في اماكن كثيرة ، يعرض الافكار والتعليقات ، التي قد تكون سليمة وربما واضحة في عقله ، بطريقة مشوشة ينقصها التسلسل المنطقي والتطوير الكافي ، بحيث لا يسع القارىء فهم قصده منها . والبعض الاخر من اقوال الكاتب لا بد وان يرفع ، تعجبا ، حواجب الكثيرين من القراء الفلسطينيين والعرب ويثير التساؤل عن صحتها وقيمتها الاعلامية ، كقوله في الصفحة ٥٣ : « ومع ان الفدائيين قد يتمنعون عن الاعتراف بتأثير اجنبي ، فانهم ربما تبعوا الى حد ما تقليد لورنس العرب » !

بالطبع ، تشفع بالكاتب سنه ، وحماسته التي تضفي على الكتاب حيوية أكيدة ، وصدقه الذي يبرز بوضوح من البداية الى النهاية . وقد لا يخلو الكتاب من فائدة اعلامية . لكننا نتمنى على غلين جبران الحرص على ان يجيء كتابه الثاني عن « النزاع الفلسطيني » الذي يبشرنا به تعريف الناشر ، خلوا من كل هذه الاخطاء والعيوب التي من السهل تحاشيها ، واكثر تركيزا وعمقا .

رجا جورج